تفسير البغوي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

قوله عز وجل : (ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي االله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ أهل المدينة والشام " يرتدد " بدالين على إظهار التضعيف " عن دينه " فيرجع إلى الكفر .قال الحسن : علم االله تبارك وتعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم صلى االله عليه وسلم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم االله ويحبونه .واختلفوا في أولئك القوم من هم؟ قال علي بن أبي طالب رضي االله عنه والحسن وقتادة : هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة الزكاة وذلك أن النبي صلى االله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ، ومنع بعضهم الزكاة ، وهم أبو بكر رضي االله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم ، وقال عمر رضي االله عنه : كيف نقاتل الناس وقد قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أمرت

أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا االله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على االله عز وجل؟ " فقال أبو بكر : واالله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، واالله لو منعوني [عناقا] كانوا يؤدونها إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها " .قال أنس بن مالك رضي االله عنه : كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا : أهل القبلة ، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده ، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره . قال ابن مسعود : كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء .قال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا حصين يقول : ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي االله عنه ، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة .وكان قد ارتد في حياة النبي صلى االله عليه وسلم ثلاث فرق :منهم [بنو مذحج] ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ، ويلقب بالأسود ، وكان كاهنا مشعبذا فتنبأ باليمن واستولى على بلادها ، فكتب رسول االله صلى االله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين ، وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم ، وعلى النهوض إلى حرب الأسود ، فقتله فيروز الديلمي على فراشه ، قال ابن عمر رضي االله عنه فأتى الخبر النبي صلى االله عليه

وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " قتل الأسود البارحة ، قتله رجل مبارك " ، قيل : ومن هو؟ قال : " فيروز ، [فاز فيروز] فبشر النبي صلى االله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود ، وقبض صلى االله عليه وسلم من الغد ، وأتى [خبر] مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعدما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي االله عنه .والفرقة الثانية : بنو حنيفة باليمامة ، ورئيسهم مسيلمة الكذاب ، [واسمه ثمامة بن قيس] وكان قد تنبأ في حياة رسول االله صلى االله عليه وسلم في آخر سنة عشر ، وزعم أنه أشرك مع محمد صلى االله عليه وسلم في النبوة ، وكتب إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم من مسيلمة رسول االله إلى محمد رسول االله ، أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك ، وبعث [بذلك] إليه مع رجلين من أصحابه ، فقال لهما رسول االله صلى االله عليه وسلم : [أتشهدان أن مسيلمة رسول االله؟ قالا : نعم . قال النبي صلى االله عليه وسلم] " لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما " ، ثم أجاب : " من محمد رسول االله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فإن الأرض الله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين " ، ومرض رسول االله صلى االله عليه وسلم وتوفي ، فبعث أبو

بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه االله على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب ، بعد حرب شديد ، وكان وحشي يقول : قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام .والفرقة الثالثة : بنو أسد ، ورئيسهم طليحة بن خويلد بن الوليد ، وكان طليحة آخر من ارتد ، وادعى النبوة في حياة النبي صلى االله عليه وسلم ، وأول من قوتل بعد وفاة النبي صلى االله عليه وسلم من أهل الردة ، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إليه ، فهزمهم خالد بعد قتال شديد ، وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام ، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .وارتد بعد وفاة النبي صلى االله عليه وسلم [في خلافة أبي بكر رضي االله عنه] خلق كثير ، حتى كفى االله المسلمين أمرهم ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي االله عنه .قالت عائشة : " توفي رسول االله صلى االله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ، ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها " .وقال قوم : المراد بقوله : (فسوف يأتي االله بقوم يحبهم ويحبونه) هم الأشعريون ، روي عن عياض بن غنم الأشعري قال : لما نزلت هذه الآية : (فسوف يأتي االله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " هم قوم

هذا ، وأشار إلى أبي موسى الأشعري " وكانوا من اليمن .أخبرنا أبو عبد االله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا أبو عبد االله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن [علي الكشميهني ، حدثنا علي بن] حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي االله عنه أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " أتاكم أهل اليمن ، هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية "وقال الكلبي : هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة ، وثلاثة آلاف من أفياء الناس ، فجاهدوا في سبيل االله يوم القادسية في أيام عمر رضي االله عنه .قوله عز وجل : (أذلة على المؤمنين) يعني : أرقاء رحماء ، لقوله عز وجل : " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة " ، ولم يرد به الهوان ، بل أراد به أن جانبهم لين على المؤمنين ، وقيل : هو من الذل من قولهم " دابة ذلول " ، يعني أنهم متواضعون كما قال االله تعالى : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا " ، (أعزة على الكافرين) أي : أشداء غلاظ على الكفار يعادونهم ويغالبونهم ، من قولهم : عزه أي : غلبه ، قال عطاء : أذلة على المؤمنين : كالولد لوالده والعبد لسيده ، أعزة على الكافرين : كالسبع على فريسته ،

نظيره قوله تعالى : " أشداء على الكفار رحماء بينهم " . (يجاهدون في سبيل االله ولا يخافون لومة لائم) يعني : لا يخافون في االله لوم الناس ، وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم ، وروينا عن عبادة بن الصامت قال : " بايعنا رسول االله صلى االله عليه وسلم على السمع والطاعة وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في االله لومة لائم " .(ذلك فضل االله يؤتيه من يشاء) أي : محبتهم الله ولين جانبهم للمسلمين ، وشدتهم على الكافرين ، من فضل االله عليهم ، (واالله واسع عليم) .